

مقياس الأدب والفنون السمعية البصرية: ماستر2 أدب عربي حديث ومعاصر

د/ سعاد حميدة

الأفواج: 4+3+2+1

المحاضرة1: مدخل: التعريف بالفنون السمعية والبصرية

تعد الفنون على اختلافها أشكالاً من أنواع التعبير الإبداعي، الذي يحقق المتعة والفائدة، فمنذ أن وجد النوع البشري رافقه التطلع إلى ممارسة الفن والاستماع إليه، إذ يلجأ الإنسان إلى «التعبير بوصفه يفضي إلى التخلص من لحظة تتراكم فيها الأحاسيس والمشاعر والأفكار والمعاناة على نفسه، فيلقي بها على كاهل اللغة أو الصورة أو الحركة أو النغم»، من أجل الحفاظ على التوازن العاطفي والجسدي والروحي، فمما لاشك فيه أن «الفن في جوهره انعكاس أو تمثيلات سيكولوجية للحالات والظواهر التي تجري في سياق وجودها الاجتماعي والطبيعي، وأنه الوسيلة التي يهدف الإنسان من خلالها بوعي أو بدونه إلى تحقيق توازنه النفسي، وذلك بالتعبير عما بداخله من مشاعر ومكبوتات ومدركات وتمثيلات».

والإبداع الفني متنوع، وكل فن يتحدث بلغته «فالرسم لغته الألوان، والموسيقى لغتها الأصوات، أما الأدب فلغته وعنصره الأساسي الكلمة، وبالكلمة ترتبط خصائص الأدب التي تميزه عن بقية أنواع الفن، وتحدد إمكاناته الفائقة في تصوير الحياة تصويراً أعمق وأغنى مما تفعل سائر الفنون».

وسيكون من المهم جداً التعرض لعرض المفاهيم النظرية المتعلقة بالفن وأنواعه وتصنيفاته.

1_ تعريف الفن:

أ_ الفن لغة: صنفت كلمة فن في معجم لسان العرب ضمن مفردة «فنن»: الفن: واحد الفنون: وهي الأنواع، والفن: الحال، والضرب من الشيء، والجمع: أفنان وفنون».

أما منجد اللغة والأعلام فيشرح كلمة فنّ بأنها: «مصدر جمع أفنان وفنون وجمع أفانين: الضرب من الشيء، أو النوع/ الحال وهو تطبيق الفنان معارفه على ما يتناوله من صور الطبيعة فيرتفع به إلى مثل أعلى تحقيقاً لفكرة أو عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال الأكمل تلذيذا للعقل والقلب / فنون الشعر: أنواعه/ الفنون الجميلة: وهي ما كان موضوعها تمثيل الجمال كالموسيقى والتصوير والشعر والبلاغة والنحت وفن البناء والرقص»، وبالتالي فالتعريف اللغوي

لكلمة فنّ يكشف أن الكلمة تعني: النوع/ الضرب/ التعبير عن الجمال، وهي إحالات تتقاطع بشكل كبير مع مختلف التعريفات الاصطلاحية.

ب_ الفنّ اصطلاحاً: يعرف الفن في الاصطلاح على أنه «نوع من أنواع التعبير البشري عن طريق القول أو الصناعة أو الحركة، إذ يقوم الإنسان من خلاله بتوصيل أفكاره وجميع عواطفه إلى الآخرين بطريقة شعورية أو لا شعورية أحياناً ليحاكي الطبيعة أو الواقع ناقلاً تفاصيلهما المرئية والذهنية بعين بصيرته إلى المتلقين الذي يلعب دوراً فاعلاً في نجاح التجربة الفنية للمبدع من عدمها».

إن تعريفات الفن تختلف وتعدد من عالم فن وجمال إلى آخر، ومن مختص في النقد الفني أو الأدب أو الفلسفة إلى آخر، إلا أن معظم الآراء تتفق على أن الفن في معناه العام هو: «جملة من القواعد المتبعة لتحقيق غاية معينة جمالياً كانت أو خيراً أو منفعة، فإذا كانت هذه الغاية تحقيق الجمال سمي الفن بالفن الجميل، وإذا كانت تحقيق الخير سمي الفن بفن الأخلاق وإذا كانت تحقيق المنفعة سمي الفن بالصناعة». والملاحظ أن مفهوم الفن ظل يتطور ويتغير لاتصاله بمجالات معرفية وفلسفية وأدبية مختلفة.

ج_ تصنيفات الفنّ:

تظهر العديد من الدراسات التي قدمها نقاد وأكاديميون وفنانون محاولات عديدة بذلت لأجل وضع إطار عام يسمح بتصنيف الفنون ضمنه، وبحسب اختلاف وجهات النظر واختلاف المبادئ والمنطلقات الفنية والتاريخية لكل منهم تعددت واختلقت تقسيماتهم، كأن يكون تصنيف الفنون قائماً على مبدأ الحركة والأداء أو مبدأ الزمان والمكان أو مبدأ الحواس، أو مبدأ الفردية والجماعية، فكان من بين أهم التصنيفات تصنيف آلان وتصنيف جرين:

* تصنيف آلان: قام آلان بتصنيف الفنون في أنساق معينة ضمن مجموعات لكل منها مميزات الخاصة، على ضوء مجموعة من الاعتبارات النفسية والاجتماعية واعتبارات الحس والحركة والزمان والمكان وغيرها، ويقوم بتصنيف الفنون على عنده على ثلاثة تقسيمات:

تصنيف آلان							
تصنيف متعلق بالزمان والمكان		تصنيف قائم على الحواس			تصنيف قائم على الفردية والجماعية		
السكون	الحركة	تشكيلية	صوتية	حركية	من الفرد إلى الجماعة والعكس	جماعية	فردية
تتواجد الفنون في المكان فقط وتترك آثارا مستمرة ثابتة)	تتواجد الفنون في الزمان فقط وتتحقق بالجسم الحي) الغناء_ الرقص)	_ العمارة _ النحت _ التصوير _ الرسم	_ الموسيقى _ الشعر _ الخطابة	_ التمثيل _ الصامت _ الرقص	فن الشعر وفن البلاغة _ فن العمارة	الموسيقى الغناء الرقص	الرسم النحت التصوير فن صناعة الأثاث الأواني الخزفية فن النثر والكتابة

تصنيف آلان الأول (الفردية والجماعية) يرتبط بالفنون ذاتها من حيث علاقتها بالمجتمع وابتعادها عنه، فتكون إما جماعية أو فردية، حيث الفن الفردي يظهر من خلال العلاقة بين الفنان وعمله دون أي مؤثرات خارجية كالمجتمع أو النظام، فتنمو هذه الفنون في جو من العزلة والوحدة الفردية.

وتصنيفه القائم على حواس الإنسان اعتباراً أن الفن أداة لذة وانسجام يتهيأ له الجسم فتقوم الحركية على الإيماء، والصوتية تعتمد على الإلقاء والتغيم، في حين تقوم التشكيلية على نشاط اليد والبصر.

وتصنيفه القائم على عاملي الزمان والمكان فهناك فنون الحركة القائمة فقط في الزمان (الرقص والغناء)، والثانية التي تتميز بالتواجد المكاني الصلب الضخم والقزي مثل فن النحت والفنون المعمارية.

* تصنيف جرين:

قام جرين في تصنيفه بتوزيع ستة فنون كبرى على ثلاث مراتب وهي «الدعاية والمؤسسات الاقتصادية، وما يؤثر في حياة الأفراد والجماعات، ومؤسسات السياحة»، وقد جعل لكل من هذه الفنون مرتبته المناسبة له فمثلا نجد أن «الرسم الكاريكاتيري له أهميته في الدعاية السياسية، والتصوير له أهميته في الدعاية الاقتصادية، والنحت في الدعاية الأدبية للشخصيات البارزة في المجتمع، والعمارة لها أهميتها التاريخية كتخليد المواقع والأبطال، وكذلك الغناء الجمعي مثل النشيد الوطني والدعوة إلى الوحدة والحرب وحفلات الرقص والتمثيل والخطابة والشعر»، ليكون للفنون حسب هذا التصنيف حضور اقتصادي وتاريخي وسياسي فضلا عن الحضور الجمالي.

ورغم هذه التصنيفات فإنها لم تقف حائلا دون خروج أنواع منها من حدود مواقعها، إذ من المؤكد أن أنواعا منها باتت تستعير أو تستضيف فنونا أخرى أو حتى بعضا من ملامحها، فمذ القرون القديمة والفنون تتحاور فيما بينها، إذ لا يكاد يوجد مثلا فن للعمارة من دون تحاوره واستعانتة بفن التصوير، ولا يكاد فن مسرحي يخلو من فنون الموسيقى والرقص والشعر، وحديثا لا تكاد تخلو رواية من توظيف فني ذهني لفنون الشعر والموسيقى والتصوير والسينما والمسرح والنحت وغير ذلك.

بالإضافة إلى ما ذكرنا من تصنيفات هناك من عمل على تصنيف الفنون حسب حواس الإنسان إلى قسمين عريضين هما: (فنون بصرية_ فنون سمعية):

أ_ الفنون البصرية:

هي فنون تعتمد بشكل كبير على الرؤية والإبصار، لأن مكونات عملية الفعل البصري تعدّ المصدر الاساسي لعملية الإبداع الفني، فيندرج تحت إطارها كل من الرسم والتصوير الفوتوغرافي بالإضافة إلى النحت والعمارة وفنون التصميم.

ففي الرسم يتم التركيز على معطيات بصرية سابقة أو ماثلة، وإعادة تشكيلها على سطح اللوحة الفنية، والأمر ذاته في التصوير الفوتوغرافي الذي يعتمد التركيز على المعطى البصري المائل أمام المصور قصد تجميد اللحظة الزمنية على الصورة الفوتوغرافية، غير أن الخصائص

الفنية والتكوينية والتاريخية تضع الكثير من الاختلاف والتميز بين الفنانين الذين تجمعهما مساحات التجسيد والتماثل والتشابه، وسنحاول التعرف على جملة الفنون البصرية.

1_ الرسم:

يعدّ أسبق الفنون في الظهور حتى قبل الكتابة، فقد كان فنا قديما ظهر قبل مرحلة الحرف، إذ رافق الإنسان منذ تكوينه الأول بحيث رسم على الكهوف كل ما خطر بباله، وما أراد التعبير عنه وقد لعبت الصورة في الحضارات القديمة دورا هاما في تخليد معالمها، وأسسها ومبادئها، ويعدّ قدماء المصريين والإغريق والرومان من أوائل من استخدم الرسم على جدران الكهوف وذلك منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد».

ويعرف الرسم على أنه « فن التعبير باللون والخط على اللوحة، وهو ليس تصويرا مباشرا للواقع، ولكنه انعكاس عنه».

2_ فن التصوير:

إن فن التصوير هو أحد أهم أنواع الفنون البصرية، التي تتطلب قدرا كبيرا من الإبداع والموهبة بالإضافة إلى إمكانية تطويرها بالتدرب والتعلم، حالها حال جميع الفنون والأعمال الإبداعية وله أنواع عديدة منها التصوير الفوتوغرافي والتصوير الرقمي والحراري والتصوير بالأشعة، فالتصوير هو عملية نسخ منظر ومشهد حقيقي وواقعي وتحويله إلى صورة، ويكون ذلك بالاعتماد على أدوات معينة ومثال ذلك التصوير بالرسم الذي يحتاج إلى فرشاة وألوان وغير ذلك من أدوات الرسم، أما التصوير الفوتوغرافي فيحتاج إلى آلة التصوير المسماة بالكاميرا، ومع تطور العلم والانتشار المذهل للتكنولوجيا والتقنيات الحديثة فقد تم إنتاج الكثير من الكاميرات ذات الدقة العالية.

3_ النحت:

إن كلمة النحت في اللغة تطلق على البري والتقشير والتشكيل، وتستخدم أيضا للدلالة على الشيء المنحوت، وفن النحت هو أحد فروع الفن التشكيلي، التي ظهرت في الكثير من الحضارات القديمة كالفرعونية واليونانية، حيث كان الناس في تلك الحقب الزمنية يعمدون إلى تجسيد الآلهة التي يعتقدون بوجود عبادتها من خلال نحت أشكالها وتصنيعها من مواد مختلفة كالحجر والخشب والمعادن والكائنات الحية_ وعلى رأسها هي أكثر ما تمّ تجسيده من خلال النحت الذي هو عبارة عن إنشاء مجسم ثلاثي الأبعاد من الشمع أو الجص أو غير ذلك من أنواع الصخور،

وفي العصر الحديث أصبح الهدف الأول من النحت هو إيصال فكرة معينة وتعبير عن الإبداع الفني الموجود لدى النحات.

4_ فن التصميم:

إنّ التصميم بشكل عام هو التخطيط والإنشاء المبدئي لفكرة أو مشروع معين، بهدف نقله من عالم الخيال والتفكير إلى الواقع والحقيقة، فهو الأساس والأصل الذي تقوم عليه الصناعات والأعمال المختلفة، وكثيراً ما يُستخدم هذا المصطلح في المجالات الفنية والهندسية، فالأعمال الفنية بأشكالها كافة المتعلقة بالفنون التشكيلية والتطبيقية والصناعية، بحاجة إلى تصميم أولي وكلّما كان التصميم أكثر إحكاماً وملاءمةً للواقع، فإنّ العمل الناتج عن هذا التصميم سيكون أكثر جودة وإتقان، ولهذا الفن مبادئ وأصول لتعلّمه والإبداع فيه، كما أنّ له أفرعاً عدّة: كالتصميم الفني والتصميم المعماري والتصميم الهندسي، بالإضافة إلى تصميم الأزياء ومواقع الويب وغير ذلك من الأعمال التي لا بدّ فيها من وجود هيكل ومخطط أولي.

5_ فن الطباعة:

فنّ الطباعة هو أحد أنواع الفنون البصرية، التي لا يمكن الاستغناء عنها في العصر الحديث يعتمد هذا الفنّ على النّقل المطابق الخالي من أيّ تحريف، والطباعة في الأساس تعني نسخ الكلام والصّور والتصاميم على سطح مناسب للطبع عليه، ولهذا الفن جذور ضاربة بعمق في التاريخ الإنساني، فالمجلات والكتب والجرائد والكثير من الخطابات وغيرها، ما كانت لتنتشر وتُعرف بين الناس لولا الطباعة، ومن صور الطباعة التي عُرفت منذ القدم: الأختام والنقوش المستخدمة في التوقيع على مستندات ووثائق معينة، ومن أهم الموادّ التي استخدمت في الطباعة: الورق والنّسيج والمعدن، وقد تطوّرت وسائل الطباعة فيما بعد وسهّلت على الإنسان عملية النشر والإعلام.

6_ فن صناعة الأفلام:

صناعة الأفلام أو صناعة السينما، مصطلح يُستخدم للدلالة والتعبير عن الهيئات والكوادر التي تعمل وتتضافر جهودها لإنتاج فيلم معيّن، وتشمل هذه الهيئات: الشركات التجارية المنتجة واستديوهات التصوير والعاملين فيها، والتصوير السينمائي وتحريك الصور وغير ذلك، كما أنّ صناعة الأفلام تعني أيضاً فن صناعة الصور المتحركة وهي أفلام الكرتون، فالفيلم يحكي قصة يتم تجسيدها بطريقةٍ ما، وقد تطوّرت السينما والأفلام بشكل ملحوظ، ففي البداية كانت السينما

صامتة ثم أُدخلت فيها تقنيات سمحت بوجود الكلام مع الصورة فأصبحت ناطقة، إلى غير ذلك من التطورات المذهلة التي جعلت منها إحدى فروع الفنون البصرية ذات الإقبال الواسع بين البشر في مختلف أنحاء العالم.

7_ فن الحرف اليدوية:

فن الحرف اليدوية هو فن ناتج عن أعمال وصناعات بسيطة، تكون فيها اليد هي العامل الرئيس والأداة الأبرز لإنتاجها، دون الحاجة إلى استعمال آلات حديثة، ومصطلح الحرف اليدوية يُطلق على الكثير من الأعمال مثل: صناعة النسيج والحياسة والتطريز والفخار والخزف وصناعة السفن، وأنواع أخرى كثيرة، وقد طوّر الإنسان بعض الأدوات واستخدمها في مجال الأعمال اليدوية فساعد ذلك في زيادة جمال المصنوعات والأشغال المنتجة بهذه الطريقة وزيادة فائدتها.

ولهذا الفن أصول تقليدية وتراثية عريقة وأهمية ثقافية ودينية كبيرة، فالناس توارثوا فن الحرف اليدوية جيلاً بعد جيل ليساعدهم ذلك في إنشاء بعض السلع التي يحتاجون إليها، ثم أصبح الغرض الفني هو الأساس في هذه الحرف، لا سيما مع تطوّر الصناعة بشتّى مجالاتها.

8_ فن العمارة:

إنّ فن العمارة هو أحد الفنون الإنسانية العظيمة التي تطوّرت على مر العصور، وأعطت صوراً مذهلة عن الدول والحضارات التي تعاقبت في مختلف بقاع الأرض، فالسكن وإيجاد المأوى هو هدف الإنسان الأول من البناء وإنشاء البيوت، إلّا أنّ فن العمارة قد طوّر هذا المفهوم وأضفى على عملية البناء صبغة فنية وإبداعية.

ويعرف فن العمارة بأنه الفن الذي يقوم على إنشاء مخططات وهيئات معينة لمباني يراد تصميمها وإيجادها على رقعة محددة، ويجب على المعماري أن يرسم مخططاً ويُنشئ تصميمًا يتماشى مع الذوق العام ورغبة صاحب البناء، ويُراعي الظروف البيئية والمناخية للمنطقة المُراد البناء فيها، وقد أسهم فن العمارة بالحفاظ على الصبغة الدينية للمجتمعات، والعمارة الإسلامية خير شاهد على ذلك.

ب_ الفنون السمعية: سنركز على لاهم الاشكال الفنية السمعية والمتمثلة في:

1_ الموسيقى:

إن كلمة موسيقى لها مدلولان كما أشار إلى ذلك سليم الحلو فهي « علم وفن فعلم الموسيقى من العلوم الطبيعية المبنية على القواعد الرياضية، وهي ترتيب وتعاقب الأصوات المختلفة، بحيث تتركب منها ألحان مبنية على موازين موسيقية مختلفة، وفن الموسيقى ينحصر في العزف على الآلات الموسيقية الزمنية، التي تجعل اللحن مؤلفاً من عبارات موسيقية متساوية في أزمنتها ولو اختلفت في أنغامها»، هذا وقد تعددت الظاهرة الموسيقية، وتتنوع بتنوع الشعوب فكانت على شكلين هما الموسيقى الخالصة والموسيقى الوصفية، فهناك الموسيقى المصاحبة للكلمات كما في الأغنية والمال، والموسيقى الدرامية كما في الأوبرا، وموسيقى الفيلم، وهي جميعاً الأشكال التي يمكن أن تندرج تحت ما يسمى بالموسيقى الوصفية، وفي مقابل ذلك هناك ما يعرف باسم الموسيقى الخالصة أو المطلقة، التي تندرج تحتها أشكال تعرف بموسيقى الآلات من قبيل السوناتا والسمفونية» فتكون خالصة لا مجال فيها إلا لأصوات الآلات الموسيقية التي يديرها ويسيرها ويعزف عليها الموسيقيون لخلق الصوت الموسيقي.

2_ الإنشاد والغناء:

ينشأ الإنشاد والغناء نتيجة التلحين الشعري، وتوقيع الشعر على الآلات الموسيقية، أو ثمره التداخل الفني الحاصل بين الشعر والموسيقى، فهما وجهان لعملة واحدة، لأن اللغة الشعرية الإيقاعية كانت تصاحب بالموسيقى البدائية، وذلك قبل اختراع الكتابة حتى، وبالتالي ولدت الموسيقى مع ولادة الشعر، ويشير الواقع التاريخي إلى أن الغناء أقدم وأسبق بكثير من ظهور الآلات الموسيقية».

3_ الأوبرا:

هي عمل درامي يمزج بين عناصر المسرح والرقص والموسيقى، ويشمل الجزء الأكبر من العرض على الغناء بصوت جهوري ومميز، وفي العادة يبدأ ملحنو الأوبرا العرض بنص مكتوب من قصة معينة، حيث تشكل الكلمات وأسطر القصة الهيكل الأساسي للأوبرا، ثم يحدد الملحن بعد ذلك الكلمات التي تتناسب مع نمط غناء الأوبرا، من أجل تلحينها مع الموسيقى، ويُشار إلى أن الأوبرا الحديثة لا تركز كثيراً على أن يكون اللحن مضبوطاً تماماً مع الموسيقى، أما في الشكل الكلاسيكي للأوبرا فيجب ضبط كامل الحوار على نوع معين من الموسيقى.